

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ

(الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى)

مِنْ مَادَّةٍ:

دَعَائِمِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com



مِنْهَاجُ الشُّعْرَى

www.menhag-un.com

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
«تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ إِذَا
شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ،
فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ
يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًا^(١)، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ،
ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا^(٢)، فَتَكُونُ
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ
خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ». ثُمَّ سَكَتَ.
رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٨٤٠٦) وَغَيْرُهُ، وَانْظُرْ: «السَّلْسِلَةُ الصَّحِيحَةُ» (٥)

(١) وَرَائِيًّا، يَتَكَادَمُونَ عَلَيْهِ تَكَادُمَ الْحَمِيرِ.

(٢) فَهَرِيًّا؛ يَسُوقُ النَّاسَ بَعْصَاهُ، يَمْلَأُ الدُّنْيَا ظُلْمًا وَجَوْرًا.



مِنْهَاجُ الشُّعْرَى

www.menhag-un.com

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ - بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، وَمِنْتَه وَنِعْمَتِهِ - هِيَ الطَّبَعَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ: «دَعَائِمِ مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ»، وَقَدْ نُقِّحَ وَزِيدَ فِيهِ حَتَّى كَانَمَا أُعِيدَتْ صِيَاجَتُهُ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ.

وَتَأْتِي هَذِهِ الطَّبَعَةُ فِي وَقْتِ تَمُوجٍ فِيهِ الدُّوَلُ الْإِسْلَامِيَّةُ مَوْجَ الْبَحْرِ بِالْفِتَنِ وَالْاضْطِرَابِ وَالْفَوْضَى، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدْ كَانَتِ النِّيَّةُ فِي تَحْرِيرِ «الدَّعَائِمِ» اسْتِيقَاقَ مَا يَجْرِي الْآنَ؛ تَحْذِيرًا، وَتَذْكِيرًا، فَلَمْ تُغْنِ الْأَسْبَابُ عَنِ الْأَحْدَاثِ شَيْئًا، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

إِنَّ مِنْهَاجَ النَّبُوَّةِ عِصْمَةٌ مِنَ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَحَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ مَنْجَاةٌ لِمَنْ صُبِغَ بِهَا، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾، وَلَنْ يَصْلَحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا.

وَإِنِّي لِأُضْرِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكْشِفَ الْكَرْبَ عَنْ أُمَّتِنَا، وَأَنْ يُجَنِّبَهَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، وَكَيْدِ الْكُفَّارِ الْمُتَرَبِّصِينَ بِدِينِهَا وَثُرَوَاتِهَا، السَّاعِينَ لِنَشْرِ الْفِتَنِ وَالْفَوْضَى وَالْإِنْحِلَالِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفِي دِيَارِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ

الدَّعَائِمَ عِصْمَةً مِنْ خَطَلٍ، وَإِقَالََةً مِنْ زَلَلٍ، وَكَشْفًا لِلْكَرْبِ، وَمَخْرَجًا مِنْ
الْهَمِّ، وَهَادِيًا - بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى - إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَبْوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَعَلَى
سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وكتب

أبو عبد الله

سُبُكُ الْأَحَد

الاثنين: ٢٣ من ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ

٢٨ من مارس ٢٠١١ م

محمد بن سعيد بن رسلان

— عفا الله عنه وعن والديه —

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَ اللَّهُ لَخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، أَكَمَلَهُ اللَّهُ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، وَهُوَ دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ وَحَقِيقَتُهُ؛ لِكَيْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَيُكْفَرَ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ سُوقُ الْجِهَادِ، وَاسْتَعَرَتْ نِيرَانُ الْحَرْبِ بَيْنَ جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ، وَلِأَجْلِهَا يُقِيمُ اللَّهُ تَعَالَى السَّاعَةَ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ؛ فَاخِذْ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامٍ، وَآخِذْ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

وَقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، أَعْظَمَ النَّاسِ -بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ- عُقُولًا، وَأَكْثَرَهُمْ فَهْمًا، وَأَحَدَهُمْ أَذْهَانًا، وَالْأَطْفَهْمَ إدْرَاكًا، وَأَعَمَقَهُمْ عِلْمًا، وَأَبْرَهُمْ قُلُوبًا، وَأَقْلَهُمْ تَكَلُّفًا.

شَهِدُوا وَقَائِعَ التَّنْزِيلِ، وَأَسْبَابَ الْوُرُودِ، مَعَ مَا خَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ تَوْقِدِ الْأَذْهَانِ، وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ، وَسَعَةِ الْعِلْمِ، وَسُهُولَةِ الْأَخْذِ، وَحُسْنِ الْإِدْرَاكِ، وَسُرْعَةِ الْإِحَاطَةِ، وَسَلَامَةِ الْقَصْدِ، وَتَقْوَى الرَّبِّ تَعَالَى.

وَكَانَتِ الْعَرَبِيَّةُ طَبِيعَتَهُمْ وَسَلِيقَتَهُمْ، وَكَانَتِ الْمَعَانِي الصَّحِيحَةُ مَرْكُوزَةً فِي فِطْرِهِمْ وَعُقُولِهِمْ، مَعَ عَدَمِ حَاجَتِهِمْ إِلَى النَّظَرِ فِي الْإِسْنَادِ وَأَحْوَالِ الرُّوَاةِ وَعِلَلِ الْحَدِيثِ، وَالْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ، وَاسْتِغْنَائِهِمْ عَنِ النَّظَرِ فِي قَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَأَوْضَاعِ الْأُصُولِيِّينَ.

لَقَدْ غُنُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَيْسَ فِي حَقِّهِمْ إِلَّا أَمْرَانِ:
أَحَدُهُمَا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَا، وَقَالَ رَسُولُهُ كَذَا.
وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ كَذَا، وَكَذَا.

وَهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ، وَأَحْظَى الْأُمَّةِ بِهِمَا، وَقُوَاهُمُ مُتَوَفِّرَةٌ مُجْتَمِعَةٌ عَلَيْهِمَا.

لَقَدْ كَانَتِ الْخِلَافَةُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ، وَكَانَتْ خِلَافَةً رَاشِدَةً، حَقَّقَتْ فِيهَا الصَّحَابَةُ حَقِيقَةَ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، تَوْحِيدًا وَاتِّبَاعًا، ثُمَّ رَفَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ كَانَتْ مُلْكًا عَاضًا، ثُمَّ رَفَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ كَانَتْ مُلْكًا جَبْرِيًّا، وَسَيَّرَ فَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِذَا شَاءَ.

وَسَتَكُونُ آخِرَ الْأَمْرِ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ، كَمَا كَانَتْ بَعْدَ أَنْ رَفَعَ اللَّهُ النَّبُوَّةَ.

لَقَدْ افْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ، وَالنَّجَاةُ فِيمَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ

وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهُوَ مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي يَنْفِي الْكُفْرَ، وَالشِّرْكَ، وَالنِّفَاقَ.

وَفِي الْإِتْبَاعِ الَّذِي يَنْفِي الْبِدْعَةَ، وَالْإِحْدَاثَ فِي الدِّينِ.

لَقَدْ افْتَرَقَتِ الْأُمَّةُ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ، وَكُلٌّ فِرْقَهَا فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ.

وَهَذَا دَاعٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ ﷺ، وَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ سَبِيلُ النِّجَاةِ فِي دُنْيَا تَمُوجُ بِأَهْلِ الْبِدْعِ مَوْجًا، وَهُمْ يَخْتَلُونَ النَّاسَ عَنْ دِينِهِمْ، وَيُلَبِّسُونَ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ، وَيَسْلُكُونَ إِلَى ذَلِكَ سُبُلَ الشَّيَاطِينِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي جَهْلِ بَدِينِهِ، وَحَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى الْقُلُوبِ بِيَدْعِهِمْ، وَيَحْرِفُونَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ صِرَاطِ رَبِّهِمْ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

وَسَتَجِدُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- فِي هَذَا الْكِتَابِ مَعَالِمَ دَعَائِمِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا كَشْفُ عِلَامَاتِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَتَجْلِيَةُ مَوَاقِفِهِمْ، وَبَيَانُ طُرُقِهِمْ فِي الْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ.

وَسَتَرَى -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- أَنَّ سَبِيلَ النِّجَاةِ فِي «مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ»، إِذْ هُوَ الدِّينُ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُصَفًى مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ، مُنَقَّى مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، وَأَعْلَامُهُ لَا تَشْتَبِهُ مَعَهَا طَرِيقٌ، وَلَا يَضِلُّ مَعَ مَعْرِفَتِهَا سَالِكٌ.

وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ «دَعَائِمُ مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ»، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ
يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِرُوحِهِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي فِيهَا الْإِخْلَاصَ وَالْقَبُولَ، وَأَنْ
يَجْزِيَ خَيْرًا كُلَّ مَنْ دَلَّ عَلَيْهَا، وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا، وَنَظَرَ فِيهَا، وَبَذَلَ الْجُهِدَ فِي
طَبْعِهَا وَنَشْرِهَا وَتَوَزِيْعِهَا.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آبَائِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَعَلَى
سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

جامعة

وكتب

أبو عبد الله

محمد بن سعيد بن رسلان

—عفا الله عنه وعن والديه—

سُبُّكَ الْأَحَدُ

الاثنين: ٢٧ من رجب ١٤٣٠

٢٠ من يولييه ٢٠٠٩

www.menhag-un.com

التعريف بمنهاج النبوة

منهاج النبوة: الطريق التي يحصل بها تحقيق المتابعة لما كان عليه الرسول ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم.

أو: هو السير على طريقة الصحابة في اتباعهم للرسول ﷺ.

أو: هو الأخذ بالآثر واتباع السنة، بفهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

والمنهاج: السبيل الذي يسلكه المسلم، وهو الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وعرف السفاريني رحمه الله في «لوائح الأنوار» (١/ ٢٠) منهاج النبوة، -وهو مذهب السلف- بأنه:

«ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، وأعيان التابعين لهم بإحسان، واتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رُمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة،

وَالْجَبَرِيَّةَ، وَالْجَهْمِيَّةَ، وَالْمُعْتَزَلَةَ، وَالْكَرَامِيَّةَ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ ...

وَهُوَ مَذْهَبُ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ، وَأَصْحَابِ الْأَثَرِ، الْمَعْرُوفِينَ بِالسُّنَّةِ، الْمُقْتَدِي بِهِمْ فِيهَا، مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهُ، أَوْ طَعَنَ فِيهِ، أَوْ عَابَ قَائِلَهُ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ خَارِجٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ، زَائِلٌ عَنِ سَبِيلِ السُّنَّةِ، وَمَنْهَجِ الْحَقِّ.

وَهُوَ: سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَنْ خَالَفَهُمْ وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَلَآهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَأَوَّلُ مَا يَصْدُقُ ﴿سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عَلَيْهِ هُوَ: مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم، فَالْخُرُوجُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْعَقِيدَةِ، أَوْ الْعِبَادَةِ، أَوْ الْمُعَامَلَةِ، أَوْ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، اتِّبَاعٌ لغير سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ عَلَى السَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ذَكَرَ اللَّهُ فَاقْشَعَرَ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ الْيَابِسُ عَنِ الشَّجَرَةِ.

وَمَا مِنْ عَبْدٍ عَلَى السَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ إِلَّا لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ أَبَدًا.

وَأِنْ اقْتَصَادًا فِي سَبِيلِ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلِ وَسُنَّةٍ،

فَانْظُرُوا أَنْ يَكُونَ عَمَلُكُمْ - إِنْ كَانَ اجْتِهَادًا أَوْ اقْتِصَادًا - عَلَى مِنْهَاجِ الْأَنْبِيَاءِ وَسُنَنِهِمْ^(١).

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِنَّهُ الْإِسْلَامُ، وَلَا تَحْرِفُوا الْإِسْلَامَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا.

وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ وَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءُ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ»^(٢).

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسْعُكَ مَا وَسِعَهُمْ»^(٣).

وَالْإِسْلَامُ - كَمَا قَالَ الْبَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ص ٥٩) -:
«هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَلَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ».
يَعْنِي: أَنَّهِمَا مُتَلَازِمَانِ، وَلَا يُمَكِّنُ بَحَالٍ أَنْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ دِينٌ إِنْ كَانَ

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٥٤)، و«تلبيس إبليس» بنحوه مختصراً (١/ ٤٤)، وابن أبي شيبه (٧/ ٢٢٤).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ٥٨)، والمروزي في «السنة» (٨)، والآجري في «الشرعية» (١٩).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٤٧)، و«تلبيس إبليس» (١/ ٥٣)، والآجري في «الشرعية» (٢/ ٦٧٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٤٣).

مُعْتَقِدًا الْإِسْلَامَ دُونَ السُّنَّةِ، أَوْ مُعْتَقِدًا السُّنَّةَ دُونَ الْإِسْلَامِ.

وَالْإِسْلَامُ هُوَ مُقْتَضَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالسُّنَّةُ هِيَ مُقْتَضَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ الْإِسْلَامَ إِلَّا بِهَاتَيْنِ الشَّهَادَتَيْنِ.

قَوْلُهُ: «الْإِسْلَامُ هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ»؛ يَعْنِي: أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَكُلُّ الرَّسُلِ جَاءُوا بِالْإِسْلَامِ، فَكُلُّ نَبِيٍّ دَعَا إِلَى اللَّهِ، وَجَاءَ بِشَرِيعَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْإِسْلَامُ.

فَالْإِسْلَامُ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ وَخَدَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا شَرَعَهُ، وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ لِلْأَنْبِيَاءِ شَرَائِعَ إِلَى آجَالٍ، ثُمَّ نَسَخَهَا، فَإِذَا نُسِخَتْ كَانَ الْعَمَلُ بِالنَّاسِخِ هُوَ الْإِسْلَامُ، إِلَى أَنْ نُسِخَتْ تِلْكَ الشَّرَائِعُ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَالْإِسْلَامُ هُوَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُولُ، مِنَ الدَّعْوَةِ وَالْعَمَلِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِحَسَبِهِ، إِلَى أَنْ جَاءَتْ بَعْثَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَصَارَ الْإِسْلَامُ مَا جَاءَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، فَمَنْ بَقِيَ عَلَى الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ، حَيْثُ لَمْ يَنْقُدِ اللَّهَ ﷻ، وَلَمْ يُطِعِ الرَّسُولَ ﷺ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ بَقِيَ عَلَى دِينِهِ قَدْ انْتَهَى وَنُسِخَ، وَالْبَقَاءُ عَلَى الْمَنْسُوخِ لَيْسَ دِينًا لِلَّهِ ﷻ، الْعَمَلُ بِالنَّاسِخِ هُوَ الدِّينُ.

وَقَوْلُهُ: «وَالسُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ». لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، إِذَا فَسَّرْنَا السُّنَّةَ بِالطَّرِيقَةِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ.

وَقَوْلُهُ: «وَلَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخِرِ»، لَا يَقُومُ الْإِسْلَامُ إِلَّا بِالسُّنَّةِ، وَلَا تَقُومُ السُّنَّةُ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ، فَالَّذِي يَدَّعِي الْإِسْلَامَ وَلَا يَعْمَلُ بِالسُّنَّةِ -أَي: طَرِيقَةَ الرَّسُولِ ﷺ-؛ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وَالَّذِي يَعْلَمُ السُّنَّةَ، وَلَا يُسْلِمُ لِلَّهِ؛ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَإِنْ عَرَفَ السُّنَّةَ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا»^(١).

وَقَالَ الْبَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ص ٤٦): «وَأَعْلَمَ -رَحِمَكَ اللَّهُ- أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ؛ حَتَّى يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدِّقًا مُسْلِمًا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكْفُونَاهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَذَبَهُمْ، وَكَفَى بِهَا فُرْقَةٌ وَطَعْنَا عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُخْذِلٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ فِيهِ».

وَأُصُولُ السُّنَّةِ -كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أُصُولِ السُّنَّةِ» (ص ٢٥)-: «الْتِمَسْكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدْعِ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَتَرْكُ الْخُصُومَاتِ وَالْجُلُوسِ مَعَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ وَالْخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ».

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا ذَكَرَهُ عَنْهُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (٢١٤ / ١): «مَنْ كَانَ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ بِيَمَنِ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَبْرَهَا قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكْلُفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَنَقَلَ دِينَهُ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَهُمْ

(١) «إِتْحَافُ الْقَارِي» (١ / ٥٥).

كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»^(١).

وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ - وَقَدْ ذَكَرَهَا - فَقِيلَ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

فَهَذَا مِنْهَاجُ النَّبُوءَةِ، وَهُوَ مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَالْمَنْهَجُ السَّلَفِيُّ فِي أَيْسَرِ عِبَارَةٍ وَأَسْهَلِهَا: هُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي لَا يُقَدَّمُ، أَوْ يُؤَخَّرُ إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَلَا يَقْبَلُ أَوْ يَرْفُضُ إِلَّا بِبُرْهَانٍ شَرْعِيٍّ، فَلَا يُسَلَّمُ بِرَأْيٍ لَا يُوَافِقُ الشَّرْعَ، وَلَا يُقَرَّرُ بِذَوْقٍ أَوْ وَجَدٍ لَيْسَ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَالْمَنْهَجُ السَّلَفِيُّ لَا يُقَدَّمُ عَلَى أَحْسَنِ الْحَدِيثِ - كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - حَدِيثًا، وَلَا يُؤَثَّرُ عَلَى خَيْرِ الْهُدَى - هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ - هُدًيًا.

وَهُوَ الْمَنْهَجُ الْبَرِيُّ مِنَ الْهَوَى، الْقَائِمُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْحَقِّ، الْوَسْطُ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، وَالْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، سَبِيلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ الَّذِينَ هُمْ فِي الْإِسْلَامِ كَأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي أَهْلِ الْمِلَلِ.

وَهُوَ حَقِيقَةُ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

(١) أثر ابن مسعود رضي الله عنه لا بأس به، وقد أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٨١٠)، بإسنادٍ ضعيفٍ.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣٧٨) بلفظٍ مقاربٍ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وروى ابن عبد البر نحوه عن الحسن البصري، في «الجامع» (١٨٠٧).

«وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ بِخَصَائِصٍ مَيَّزَهُ اللَّهُ بِهَا عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَجَعَلَ لَهُ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا؛ أَفْضَلَ شُرْعَةٍ وَأَكْمَلَ مِنْهَاجٍ مُبِينٍ.

كَمَا جَعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ فَهُمْ يُوفُونَ^(١) سَبْعِينَ أُمَّةً هُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ، هَدَاهُمُ اللَّهُ بِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ وَسْطًا عَدْلًا خِيَارًا. فَهُمْ وَسْطٌ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي الْإِيمَانِ بِرُسُلِهِ، وَشَرَائِعِ دِينِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

فَأَمَرَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَحَلَّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ، لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ كَمَا حَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ، وَلَمْ يُحَلِّ لَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْخَبَائِثِ كَمَا اسْتَحَلَّتْهَا النَّصَارَى.

وَلَمْ يُضَيِّقْ عَلَيْهِمْ بَابَ الطَّهَّارَةِ وَالنَّجَّاسَةِ كَمَا ضَيَّقَ عَلَى الْيَهُودِ، وَلَمْ يَرْفَعْ عَنْهُمْ طَهَّارَةَ الْحَدَثِ وَالْخَبَثِ كَمَا رَفَعَتْهُ النَّصَارَى، فَلَا يُوجِبُونَ الطَّهَّارَةَ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَلَا الْوُضُوءَ لِلصَّلَاةِ، وَلَا اجْتِنَابَ النَّجَّاسَةِ فِي الصَّلَاةِ، بَلْ يَعُدُّ كَثِيرٌ مِنْ عِبَادِهِمْ مُبَاشَرَةً النَّجَّاسَاتِ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرْبِ وَالطَّاعَاتِ، حَتَّى يُقَالَ

(١) أي: تَمَّتِ الْعِدَّةُ بِهِمْ سَبْعِينَ، يُقَالُ: وَفَى الشَّيْءُ، وَوَفَّى، إِذَا تَمَّ وَكُمُلَ [النهاية (٥ / ٢١١)].
وقال في «اللسان»: «وفي حديث النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّكُمْ وَفَيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»؛ أي: تَمَّتِ الْعِدَّةُ سَبْعِينَ أُمَّةً بِكُمْ». «لسان العرب مادة (وفى) (ص ٤٨٨٥).

فِي فَضَائِلِ الرَّاهِبِ: «لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً مَا مَسَّ الْمَاءُ»!!؛ وَلِهَذَا تَرَكُوا الْخِتَانَ،
مَعَ أَنَّهُ شَرَعَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَاتَّبَاعِهِ.

وَالْيَهُودُ عِنْدَهُمْ إِذَا حَاضَتِ الْمَرَأَةُ، لَا يُوَكِّلُونَهَا، وَلَا يُشَارِبُونَهَا،
وَلَا يَقْعُدُونَ مَعَهَا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَالنَّصَارَى لَا يُحَرِّمُونَ وَطْءَ الْحَائِضِ.

وَكَانَ الْيَهُودُ لَا يَرُونَ إِزَالََةَ النَّجَاسَةِ، بَلْ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
قَرَضَهُ بِالْمِقْرَاضِ، وَالنَّصَارَى لَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ نَجَسَ يَحْرُمُ أَكْلُهُ، أَوْ تَحْرُمُ
الصَّلَاةُ مَعَهُ.

وَكَذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَسَطٌ فِي الشَّرِيعَةِ، فَلَمْ يَجْحَدُوا شَرْعَهُ النَّاسِخَ
لَأَجْلِ شَرْعِهِ الْمَنْسُوخِ، كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ، وَلَا غَيَّرُوا شَيْئًا مِنْ شَرْعِهِ
الْمُحْكَمِ، وَلَا ابْتَدَعُوا شَرْعًا لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ بِهِ، كَمَا فَعَلَتِ الْيَهُودُ، وَلَا عَلَوْا فِي
الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ كَغُلُوِّ النَّصَارَى، وَلَا بَخْسِهِمْ حُقُوقَهُمْ كَفِعْلِ الْيَهُودِ،
وَلَا جَعَلُوا الْخَالِقَ سُبْحَانَهُ مُتَّصِفًا بِخَصَائِصِ الْمَخْلُوقِ وَنَقَائِصِهِ وَمَعَايِهِ مِنْ
الْفَقْرِ وَالْبُخْلِ وَالْعَجْزِ؛ كَفِعْلِ الْيَهُودِ، وَلَا الْمَخْلُوقَ مُتَّصِفًا بِخَصَائِصِ الْخَالِقِ
سُبْحَانَهُ؛ الَّتِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ فِيهَا شَيْءٌ؛ كَفِعْلِ النَّصَارَى، وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْ
عِبَادَتِهِ كَفِعْلِ الْيَهُودِ، وَلَا أَشْرَكُوا بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا كَفِعْلِ النَّصَارَى.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْإِسْلَامِ كَأَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي أَهْلِ الْمِلَلِ، فَهُمْ
وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ الْجَحْدِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّشْبِيهِ
وَالْتَّمِثِيلِ، يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ مِنْ غَيْرِ

تَعْطِيلٌ وَلَا تَمْثِيلٌ، إِبْتَاتًا لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَتَنْزِيهًا لَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهَا أُنْدَادٌ وَأَمْثَالٌ.

إِبْتَاتٌ بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وَهُوَ رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. [الشورى: ١١]، رَدٌّ عَلَى الْمُعْطَلَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يُلُودٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ف: ﴿الصَّمَدُ﴾: السَّيِّدُ الْمُسْتَوْجِبُ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ.

«وَالْأَحَدُ»: الَّذِي لَيْسَ لَهُ كُفُوٌ وَلَا مِثَالٌ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ ﷻ بَيْنَ الْمُعْتَرِلَةِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ، وَالْجَبَرِيَّةِ النَّافِينَ لِحِكْمَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَالْمُعَارِضِينَ بِالْقَدَرِ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ، وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ.

وَفِي بَابِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ بَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِتَخْلِيدِ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ فِي النَّارِ، وَبَيْنَ الْمُرْجَّةَةِ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ بَعْضَ الْوَعِيدِ، وَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ الْأَبْرَارَ عَلَى الْفُجَّارِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْغَالِي فِي بَعْضِهِمُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ بِالْهَيْئَةِ أَوْ نُبُوَّةٍ أَوْ عِصْمَةٍ، وَالْجَافِي عَنْهُمْ: الَّذِي يُكْفِّرُ بَعْضُهُمْ أَوْ

يُفْسِقُهُ، وَهُمْ خِيَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَاللَّهُ ﷻ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ لِلنَّاسِ رَحْمَةً، وَأَنْعَمَ بِهِ نِعْمَةً يَأْتِيهَا مِنْ نِعْمَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِذَا سَأَلَهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ.

فَجَمَعَ اللَّهُ لَأَمَّتِهِ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ مَا فَرَّقَهُ فِي غَيْرِهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَزَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ أَنْوَاعَ الْفَوَاضِلِ، بَلْ آتَاهُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٨] لِكَيْ لَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩]»^(١).

وَالْمَعْنَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، خَافُوا عِقَابَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ، يُؤْتِكُمْ ضِعْفَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِّعِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

أَعْطَاكُمْ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ كُلَّهُ؛ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ يَكْسِبُونَهُ لِأَنفُسِهِمْ أَوْ

(١) «الجواب الصحيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤).

يَمْنَحُونَهُ لِغَيْرِهِمْ، وَأَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ،
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ عَلَى خَلْقِهِ.

وَدَيْنُ اللَّهِ تَعَالَى وَسَطٌ بَيْنَ الْجَافِي عَنْهُ وَالْغَالِي فِيهِ؛ كَالْوَادِي بَيْنَ
جَبَلَيْنِ، وَالْهُدَى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَالْوَسْطُ بَيْنَ طَرَفَيْنِ ذَمِيمَيْنِ.

وَكَمَا أَنَّ الْجَافِي عَنِ الْأَمْرِ مُضَيِّعٌ لَهُ، فَالْغَالِي فِيهِ مُضَيِّعٌ لَهُ، هَذَا
بِتَقْصِيرِهِ عَنِ الْحَدِّ، وَهَذَا بِتَجَاوُزِهِ الْحَدَّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أَيُّ: عُدُولًا
لَا حِيَارًا.

وَكَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ وَسَطٌ بَيْنَ الْأُمَمِ، فَكَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ الطَّوَائِفِ
وَالْفِرَقِ.

فَفِي أَبْوَابِ الْإِيمَانِ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ التَّكْفِيرِيِّينَ الْغُلَاةِ، وَالْمُرْجِيَّةِ
الْجُفَاةِ.

وَفِي إِثْبَاتِ الْإِيمَانِ مِنْ أَنَّهُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ
هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

وَفِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: هُمْ وَسَطٌ بَيْنَ الْمُعْطَلَةِ وَالْمُمَثَّلَةِ.

وَفِي الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم: أَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالنَّوَاصِبِ.

وَفِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ

وَالْجَبَرِيَّةَ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ بَيْنَ
الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِيَّةِ.

وَهُمْ يَنْفُونَ عَنِ الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ؛ وَهُوَ التَّعَصُّبُ الشَّدِيدُ بِلَا دَلِيلٍ،
وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ؛ وَهُوَ تَحْسِينُ الظَّنِّ بِالْعَقْلِ فِي الشَّرْعِيَّاتِ وَمُتَابَعَةُ الْهَوَى،
وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ؛ وَهُوَ الْجَهْلُ بِمَصَادِرِ الْأَحْكَامِ، وَبِدَلَالَتِهَا عَلَى مَا اسْتَدَلَّ
بِهَا عَلَيْهِ.

فَهَذَا هُوَ مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ.

وَهُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الْكَرَامُ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، وَأَعْيَانُ التَّابِعِينَ
لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَاتَّبَاعُهُمْ، وَأَتَمَّةُ الدِّينِ مِمَّنْ شَهِدَ لَهُ بِالْإِمَامَةِ، وَعُرِفَ عِظَمُ
شَأْنِهِ فِي الدِّينِ، وَتَلَقَّى النَّاسُ كَلَامَهُمْ خَلْفًا عَنْ سَلَفٍ، دُونَ مَنْ رُمِيَ بِبِدْعَةٍ،
أَوْ شُهِرَ بِلَقَبٍ غَيْرِ مَرْضِيٍّ، مِثْلُ: الْخَوَارِجِ، وَالرَّوَافِضِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِيَّةِ،
وَالْجَبَرِيَّةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَالْكَرَامِيَّةِ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ.

وَرَغَمَ وُضُوحِهِ وَظُهُورِهِ إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدْ حَادُوا عَنْهُ، وَاتَّخَذُوا لَهُمْ
مَنَاهَجَ مُنَاقِضَةً لَهُ.

وَالْمَنْهَجُ السَّلَفِيُّ يَلْتَزِمُ بِهِمُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَمَا فَهِمَهُمَا السَّلَفُ الصَّالِحُ،
وَلَا يُقَدِّمُ عَقْلًا عَلَى نَقْلِ، وَيَقْطَعُ بِمُوَافَقَةِ صَرِيحِ الْمَعْقُولِ لِصَحِيحِ الْمَنْقُولِ،
وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ شَرِيعَةٍ وَحَقِيقَةٍ، وَلَا بَيْنَ عِلْمٍ وَعَمَلٍ، وَعِنْدَ أَهْلِهِ يَقِينٌ رَاسِخٌ أَنَّ

فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَدَهُمَا - إِذَا التَّزَمَ بِهِمُ السَّلَفُ وَتَفْسِيرُهُمْ لَهُمَا -
الْكِفَايَةُ وَالسَّدَادُ، وَالْهِدَايَةُ وَالرَّشَادُ، فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ.

وَمِنْهَا جُ النَّبُوءَةِ، هُوَ مَنْهَجُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَالطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، وَهُوَ
قَائِمٌ عَلَى دَعَائِمٍ هِيَ: الرُّجُوعُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِهِمُ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِنَ
الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالِدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ
لَهُ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الشُّرْكِ عَلَى اخْتِلَافِ صُورِهِ وَتَنَوُّعِ
مَظَاهِرِهِ، وَالِدَّعْوَةُ إِلَى الْإِتِّبَاعِ بِتَجْرِيدِ الْمُتَابِعَةِ لِلْمَعْصُومِ ﷺ، وَنَبْذُ تَقْلِيدِ
الرَّجَالِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، وَمُجَانَبَةُ الْبَدْعِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، مَعَ مُجَانَبَةِ
أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ مُمَكِّنٍ فِي كُلِّ سَبِيلٍ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ النَّافِعِ مِنْ
مَظَانِّهِ، وَتَقْدِيرُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْهُدَى وَيُجَانِبُونَ الْهَوَى، وَيَفْقَهُونَ
الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِهِمُ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ.

وَمِنْ دَعَائِمِ مِنْهَا جُ النَّبُوءَةِ: لَزُومُ غَرَزِ الصَّحَابَةِ فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ
وَالْكَفْرِ، وَالِدِّمَاءِ الْمَعْصُومَةِ بِالْإِيمَانِ وَالْأَمَانِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَلَبًا وَدَفْعًا، وَالْإِمَامَةِ وَالْبَيْعَةِ، وَلَزُومِ الْجَمَاعَةِ،
وَمُعَامَلَةِ وُلاَةِ الْأُمُورِ، وَالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

وَمِنْ دَعَائِمِ مِنْهَا جُ النَّبُوءَةِ: نَبْذُ التَّعَصُّبِ وَالتَّحَزُّبِ، وَالتَّمَسُّكِ بِمَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُونَهُ وَيَقُولُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ، مُتَّبِعُونَ

لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتَهُمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ، الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، فَهَذِهِ أَصُولُ أَهْلِ السُّنَّةِ.

وَعِنْدَهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُصُولَ لَا يُنَالُ مِنْهَا بِزَمَانٍ وَلَا بِمَكَانٍ، فَلَا يُنَالُ مِنْهَا بَعْدَ الْمَكَانِ وَلَا تَأْخُرُ الزَّمَانِ، فَلَا تَتَأَثَّرُ بِوَاقِعٍ عَصْرِيٍّ، وَلَا بِعُرْفٍ مَحَلِّيٍّ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْمُهِمَّةُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ عِنْدَ كُلِّ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَعَرَفَ مُقْتَضَى ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالِاتِّبَاعِ؛ فَالْتَزَمَهُ فِي كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقَوَاعِدُ الْفِطْرِيَّةُ الْبُرْهَانِيَّةُ أُسَسَ هَذَا الْمَنْهَجَ الرَّبَّانِيَّ، فَإِنَّ الْمُنْحَرِفِينَ الزَّائِغِينَ الضَّالِّينَ قَدْ جَعَلُوهَا وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا، وَاتَّخَذُوا أَهْلَهَا سِخْرِيًّا، وَاصْطَنَعُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَنَاجِدَ وَأُصُولًا عَقِيمَةً صَاغَتْهَا عُقُولُهُمُ الْقَاصِرَةُ، وَأَذَوَقَهُمُ السَّقِيمَةُ، فَكَانَ أَنْ جَعَلُوا الْيَسِيرَ مِنَ الدِّينِ عَسِيرًا، وَالْوَاضِحَ مِنَ الشَّرْعِ مُشْكَلًا، وَالْقَرِيبَ بَعِيدًا، وَعَقَدُوا الْأَمْرَ تَعْقِيدًا شَدِيدًا، وَجَافُوا الْفِطْرَةَ مُجَافَاةً ظَاهِرَةً، فَظَنُّ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ الَّتِي هِيَ دِينُ الْفِطْرَةِ، وَهِيَ الْوَسْطِيَّةُ، وَهِيَ الْيُسْرُ، وَفِيهَا صَلَاحُ الْعَقْلِ وَالذَّوْقُ جَمِيعًا، أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعُونَ الْمُتَهَوِّكُونَ الْمُتَحِيرُونَ هُوَ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ!!

وَأَيْنَ مِنْهُمْ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؟!

وَقَدْ أَدَّى اضْطِرَابُهُمْ وَاخْتِلَافُهُمْ وَتَلْبِيسُهُمْ وَاخْتِلَاطُهُمْ إِلَى خَفَاءِ الْمَنْهَجِ الْحَقِّ، الَّذِي هُوَ مَنْهَجُ الرُّسُلِ، وَبُعِثَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

ثُمَّ أَدَّى بِهِمْ اضْطِرَابَهُمْ وَتَحَيُّرَهُمْ وَاخْتِلَافَهُمْ وَاخْتِلَاطَهُمْ إِلَى زَوَالِ
الْمَنْهَجِ مِنْ بَيْنِهِمْ، بَلْ أَدَّى إِلَى مَا هُوَ أخطرُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ سُوءُ الظَّنِّ بِمَنْهَجِ
الرُّسُلِ أَنْفُسِهِمْ.

وَأَمَّا السَّلَفُ فَكَانُوا عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ الْمُبِينِ، قَارِّينَ مُطْمَئِنِّينَ، لَا
مُضْطَرِّينَ وَلَا مُتَحَيِّرِينَ.

ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَوْنٍ: قَالَ: «دَخَلْتُ مَعَ سُخُنُونَ عَلَى
ابْنِ الْقَصَّارِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْقَلْقُ؟!
قَالَ لَهُ: الْمَوْتُ وَالْقُدُومُ عَلَى اللهِ.

قَالَ لَهُ سُخُنُونَ: أَلَسْتَ مُصَدِّقًا بِالرُّسُلِ، وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَالْجَنَّةِ
وَالنَّارِ، وَأَنْ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَالْقُرْآنَ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ،
وَأَنَّ اللهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَلَا تَخْرُجُ عَلَى الْأَئِمَّةِ
بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا؟

قَالَ: إِي وَاللهِ!

فَقَالَ: مِتُّ إِذَا شِئْتُ، مِتُّ إِذَا شِئْتُ»^(١).

* * *

www.menhag-un.com

(١) «سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (١٢ / ٦٧).

أَسْبَابُ الانْحِرَافِ عَنْ سَبِيلِ السَّلَفِ

وَبَيَّانُ ذَلِكَ: بِأَنْ يُعْلَمَ أَنَّ طُرُقَ الزَّيْغِ عَنْ سَبِيلِ السَّلَفِ فِي الِاعْتِقَادَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ إِنَّمَا تَنْتَهِي إِلَى أَحَدِ سَبِيلَيْنِ، كَمَا بَيَّنَّ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

وَهَذَانِ السَّبِيلَانِ هُمَا جَمَاعُ سُبُلِ الضَّلَالِ، وَإِلَيْهِمَا تَرْجِعُ مَسَالِكُ الْإِبْتِدَاعِ، وَطَرَائِقُ الْإِنْحِلَالِ عَنْ طَرِيقِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَحْبِهِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-.
أَحَدُ هَذَيْنِ السَّبِيلَيْنِ: هُوَ طَرِيقُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَنْصَارِ الْعَقْلِ.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَهُوَ طَرِيقُ الْمُتَصَوِّفَةِ أَرْبَابِ الْعَاطِفَةِ.
وَلِكُلِّ مِنْ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ سِمَاتٌ وَخَصَائِصٌ، تَرْجِعُ إِلَى هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ: الْعَقْلِ، وَالْعَاطِفَةِ.

فَأَمَّا الْمُتَكَلِّمُونَ: فَإِنَّهُمْ غَلَبُوا الْعَقْلَ، وَسَارُوا وَرَاءَ مَا تَخَيَّلُوهُ.
وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ: فَإِنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَى رِيَاضَاتِهِمْ، وَإِلَى أَذْوَاقِهِمْ، وَمَوَاجِدِهِمْ، وَعَوَاطِفِهِمْ.

فَلَاؤُلُون -أَعْنِي: الْمُتَكَلِّمِينَ- تُوْحِي إِلَيْهِمْ عُقُولُهُمْ!!

وَأَمَّا الصُّوفِيَّةُ فَإِنَّهُمْ يَتَلَقُّونَ الْوَحْيَ عَنْ قُلُوبِهِمْ!!، فَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقُولُ:
أَنْتُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ إِنَّمَا تَلَقَّيْتُمْ عِلْمَكُمْ مِيتًا عَنْ مِيتٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَتَلَقَّيْنَا الْعِلْمَ عَنِ
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ رَبِّي!!

فَالْمُتَكَلِّمُونَ تُوْحِي إِلَيْهِمْ عُقُولُهُمْ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ فَإِنَّهُمْ
يَتَلَقُّونَ الْوَحْيَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ إِنَّمَا تَعَبْتُ بِهِمْ شَيَاطِينُهُمْ.

أَمَّا الْوَحْيُ الَّذِي جَاءَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَنْزَلَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَيْهِ
فَلَا يَكَادُونَ يُقِيمُونَ لَهُ أُسًّا، وَلَا يَرْفَعُونَ لَهُ رَأْسًا.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السِّيَرِ» (٤/٤٧٢): «وَإِذَا رَأَيْتَ الْمُتَكَلِّمَ
الْمُبْتَدِعَ يَقُولُ: دَعْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْأَحَادِيثِ الْآحَادِ وَهَاتِ الْعَقْلَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ
أَبُو جَهْلٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ السَّالِكَ التَّوْحِيدِيَّ يَقُولُ: دَعْنَا مِنَ النَّقْلِ وَمِنَ الْعَقْلِ
وَهَاتِ الذُّوقَ وَالْوَجْدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِبْلِيسُ قَدْ ظَهَرَ بِصُورَةِ بَشَرٍ، أَوْ قَدْ حَلَّ فِيهِ،
فَإِنْ جَبَنْتَ مِنْهُ، فَاهْرُبْ، وَإِلَّا فَاصْرَعْهُ، وَابْرُكْ عَلَى صَدْرِهِ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ آيَةَ
الْكُرْسِيِّ، وَاخْنُقْهُ».

وَمِنْ سِمَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ: تَقْدِيمُهُمُ الْعَقْلَ عَلَى النَّقْلِ، وَادِّعَاؤُهُمْ أَنَّ
الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُبَيِّنْ أَصُولَ الدِّينِ الْإِعْتِقَادِيَّةَ بِأَدِلَّتِهَا الْعَقْلِيَّةِ، وَكَذَلِكَ
الْقُرْآنُ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَشْتَغِلُوا بِالْكَلامِ^(١) لِإِنْشغالِهِمْ بِالْفُتُوحِ أَوْ

(١) أَي: بِعِلْمِ الْكَلَامِ الَّذِي بَحَثَ فِي الْعَقِيدَةِ بِطَرِيقَةٍ عَقْلِيَّةٍ مَحْضَةٍ، بَلْ بِطَرِيقَةٍ جَهْلِيَّةٍ مَحْضَةٍ.

لِطَلَبِهِمُ السَّلَامَةَ، حَتَّى إِنَّهُمْ ادَّعَوْا أَنْ مَنَهِجَ السَّلَفِ أَسْلَمَ، وَأَمَّا مَنَهِجُ الْخَلْفِ فَأَعْلَمُ وَأَحْكَمُ.

وَقَالُوا: إِنَّ الصَّحَابَةَ أَثَرُوا السَّلَامَةَ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي تِلْكَ الْمِصَاقِ.

وَقَالُوا: إِنَّ الصَّحَابَةَ انشَغَلُوا بِالْفُتُوحِ عَنِ النَّظَرِ وَعَنِ إِعْمَالِ الْعَقْلِ.

وَيَرُونَ أَنْفُسَهُمْ^(١) أَهْلًا لِذَلِكَ، فَتَصَدَّوْا لِهَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ وَتَهَيَّئُوا لَهُ، وَأَحْكُمُوا هَذَا الْبَابَ الْخَطِيرَ الَّذِي قَصَّرَ فِيهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ -بِرْغَمِهِمْ-، وَعَجَزَ السَّلَفُ جَمِيعًا -كَمَا يَدَّعُونَ- عَنْهُ!!

وَكُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى أُصُولِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي ثَبَتَ بُطْلَانُهَا فِي نَفْسِهَا، فَكَيْفَ وَقَدْ عَارَضَتْ رَكَائِزَ الدِّينِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ!!؟

وَهَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ أَدَّتْ أُصُولُهُمْ إِلَى ظُهُورِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ، وَبُرُوزِ الْمَذَاهِبِ الْمُنْحَرِفَةِ فِي الْعَقِيدَةِ: مِنْ مَقَالَاتِ الْجَهْمِيَّةِ، إِلَى مَقَالَاتِ الْمُعْتَزَلَةِ، إِلَى مَقَالَاتِ الْمُرْجِيَّةِ، إِلَى مَقَالَاتِ الْأَشَاعِرَةِ، إِلَى مَقَالَاتِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْانْحِرَافِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَدَّمُوا الْعَقْلَ عَلَى النَّقْلِ، وَهَذَا مِنْ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ.

وَأَمَّا الْفَرِيقُ الْآخَرُ وَهُمْ الصُّوفِيَّةُ: فَأَهَمُّ سِمَاتِهِمْ: تَقْدِيمُ الذَّوْقِ عَلَى الشَّرْعِ، وَالْمَيْلُ إِلَى الْعِبَادَةِ عَلَى حَسَابِ الْعِلْمِ، وَإِثَارُ طَرِيقِ الرِّيَاضَةِ

(١) يَعْنِي: الْمُتَكَلِّمِينَ.

وَالْمُجَاهِدَةُ عَلَى طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ.

وَإِذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُونَ قَدْ خَالَفُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَطَرِيقَ السَّلَفِ فِي نَزْعَتِهِمُ الْعَقْلِيَّةَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةَ قَدْ سَارُوا فِي الطَّرِيقِ نَفْسِهِ، حَيْثُ إِنَّهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ بِالْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِيدِ، وَبِالتَّجَارِبِ وَالْأَحْوَالِ، وَلَمْ يَجْتَهِدُوا فِي مَعْرِفَةِ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّ سَبِيلَ مَعْرِفَةِ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَطْلُبُوا الْعِلْمَ، وَأَنْ يَعْرِفُوا السُّنَّةَ، وَهُمْ قَدْ أَعْرَضُوا عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ أَصْلًا، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، وَجَعَلُوا رِيَاضَاتِهِمْ أَسَاسَ طَرِيقِهِمْ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ كَمَا يَدَّعُونَ، وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَجَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ فَائِزَةً بِالْحَقِيقَةِ وَالْعَمَلِ، وَجَعَلُوا لِيُغَيِّرَهُمُ الشَّرِيعَةُ وَالْعِلْمَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ أَضْلَالِهِمْ وَزَيِّغِهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ.

إِذْ إِنَّهُمْ لَجَهْلُهُمْ كَثُرَ ابْتِدَاعُهُمْ وَغُلُوُّهُمْ فِي مَشَايِخِهِمْ، وَوُقُوعُهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالشَّرَكِيَّاتِ، وَبَلَغَ الْغُلُوُّ بِطَوَائِفِ مِنْهُمْ إِلَى ظُهُورِ فِرْقٍ ضَالَّةٍ - كَتِلْكَ الَّتِي ظَهَرَتْ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِينَ - مِثْلُ: الْحُلُولِيَّةِ، وَالِاتِّحَادِيَّةِ، وَالِإِبَاحِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفِرَقِ الْمُنْحَرِفَةِ.

وَهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ نَقِیضَانِ عَلَى طَرَفَيْنِ، وَقَدْ تَطَرَّفَ هَؤُلَاءِ، وَتَطَرَّفَ هَؤُلَاءِ، وَأَمَّا أَتْبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ تَوَسَّطُوا، وَسَارُوا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «انْقَسَمَتِ الْأُمَّةُ إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فَالْجَامِعُونَ، حَقَّقُوا الْقَوْلَ التَّصْدِيقِيَّ، وَالْعَمَلُ الْإِرَادِيَّ.

وَفَرِيقَانِ فَقَدُوا أَحَدَ الْمَعْنَيْنِ:

فَالْكَلَامِيُّونَ: غَالِبُ نَظَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ فِي الثُّبُوتِ، وَالْإِنْتِفَاءِ، وَالْوُجُودِ وَالْعَدَمِ، وَالْقَضَايَا التَّصْديقيَّةِ؛ فَعَايَتُهُمْ مُجَرَّدُ التَّصْديقِ وَالْعِلْمِ وَالْخَبَرِ.

وَالصُّوْفِيُّونَ: غَالِبُ طَلَبِهِمْ وَعَمَلِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ، وَالْبُغْضَةِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْكَرَاهَةِ وَالْحَرَكَاتِ الْعَمَلِيَّةِ؛ فَعَايَتُهُمُ الْمَحَبَّةُ وَالْإِنْقِيَادُ وَالْعَمَلُ وَالْإِرَادَةُ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ: فَجَامِعُونَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ؛ بَيْنَ التَّصْديقِ الْعِلْمِيِّ، وَالْعَمَلِ الْحُبِّيِّ.

ثُمَّ إِنَّ تَصْديقَهُمْ عَنْ عِلْمٍ، وَعَمَلَهُمْ وَحُبَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ؛ فَسَلِمُوا مِنْ آفَتِي مُنْحَرَفَةِ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ، وَحَصَلُوا مَا فَاتَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِنَ النِّقْصِ؛ فَإِنَّ كُلًّا مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ لَهُ مَفْسَدَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: الْقَوْلُ بِلَا عِلْمٍ - إِنْ كَانَ مُتَكَلِّمًا -، وَالْعَمَلُ بِلَا عِلْمٍ - إِنْ كَانَ مُتَصَوِّفًا - وَهُوَ مَا وَقَعَ مِنَ الْبِدْعِ الْكَلَامِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ الْمُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالثَّانِيَةُ: فَوَتْ الْمُتَكَلِّمُ الْعَمَلَ، وَفَوَتْ الْمُتَصَوِّفُ الْقَوْلَ وَالْكَلامَ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ: كَانَ كَلَامُهُمْ وَعَمَلُهُمْ بَاطِنًا وَظَاهِرًا بِعِلْمٍ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ قَوْلِهِمْ وَعَمَلِهِمْ مَقْرُونًا بِالْآخَرِ.

وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُسْلِمُونَ حَقًّا، الْبَاقُونَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.

فَإِنَّ مُنْحَرِفَةَ أَهْلِ الْكَلَامِ فِيهِمْ شَبَهُ الْيَهُودِ، وَمُنْحَرِفَةَ أَهْلِ التَّصَوُّفِ فِيهِمْ شَبَهُ النَّصَارَى؛ وَلِهَذَا غَلَبَ عَلَى الْأَوَّلِينَ جَانِبُ الْحُرُوفِ وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادِ، وَعَلَى الْآخَرِينَ جَانِبُ الْأَصْوَاتِ وَمَا يُثِيرُهُ مِنَ الْوَجْدِ وَالْحَرَكَةِ.

وَمِنْ تَمَامِ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهٗ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَيُجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.
وَهَذِهِ الطُّرُقُ الثَّلَاثَةُ: هِيَ النَّافِعَةُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ^(١).

جامعة

مِنْهَاجُ السُّوَعِيَّةِ

www.menhag-un.com

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٢/ ٣١).

الأدلة على وجوب اتباع منهاج النبوة

إِنَّ الْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَعَلَى وَجُوبِ لَزُومِ مَذْهَبِهِمْ كَثِيرَةٌ، وَهَذَا بَيَانُ بَعْضِهَا:

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

فَأَمَرَنَا اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاقْتِفَاءِ أَثَرِهِمْ وَسُلُوكِ مَنْهَجِهِمْ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَمَا ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ: «وَكُلُّ مِنَ الصَّحَابَةِ مُنِيبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِ».

وَأَقْوَالُهُ وَاعْتِقَادَاتُهُ مِنْ أَكْبَرِ سَبِيلِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمْ مُنِيبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ هَدَاهُمْ، وَقَدْ قَالَ: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] ^(١).

٢ - وَقَدْ حَذَّرَنَا اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنْ مُخَالَفَةِ سَبِيلِهِمْ، وَتَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ مُخَالَفَهُمْ بِجَهَنَّمَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ

(١) «إعلام الموقعين» (٥/ ٥٦٧).

أَلْهَدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

ذَكَرَ الْأَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الشَّرِيعَةِ» (١/ ٤٦١) عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَوَلَاةُ الْأُمُورِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَنًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِمَطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا، وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنْ عَمِلَ بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنْ انْتَصَرَ بِهَا مَنصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا».

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ٣٥٦):

«أَيُّ: وَمَنْ يُخَالِفِ الرَّسُولَ ﷺ وَيُعَانِدُهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُ أَلْهَدَى﴾ بِالذَّلَالِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْبَرَاهِينِ النَّبَوِيَّةِ، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَسَبِيلُهُمْ هُوَ طَرِيقُهُمْ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، ﴿تُولَّهِ مَا تَوَلَّى﴾، أَيُّ: نَتْرَكُهُ وَمَا اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ وَنَخَذْلُهُ؛ فَلَا نُوفِّقُهُ لِلْخَيْرِ؛ لِكَوْنِهِ رَأَى الْحَقَّ وَعَلِمَهُ وَتَرَكَهُ؛ فَجَزَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ أَنْ يُبْقِيَهُ فِي ضَلَالِهِ حَائِرًا وَيَزْدَادَ ضَلَالًا إِلَى ضَلَالِهِ، ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾؛ أَيُّ: نُعَذِّبُهُ فِيهَا عَذَابًا عَظِيمًا، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، أَيُّ: مَرْجَعًا لَهُ وَمَالًا».

وَقَالَ الْبَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» (ص ٥٩): «وَالْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَحِمَهُمُ اللَّهُ

أَجْمَعِينَ -، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ، فَقَدْ ضَلَّ وَابْتَدَعَ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي النَّارِ».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٦٠): «وَأَعْلَمَ -رَحِمَكَ اللَّهُ- أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَمْ يُوضَعْ عَلَى عُقُولِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ رَسُولِهِ، فَلَا تَتَّبِعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ، فَتَمُرَّقَ مِنَ الدِّينِ فَتَخْرُجَ مِنَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ فَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ السُّنَّةَ، وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ، وَهُمْ الْجَمَاعَةُ، وَهُمْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ: الْحَقُّ وَأَهْلُهُ».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي ضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسِبَهَا هُدًى، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسِبَهُ ضَلَالَةً، فَقَدْ بَيَّنَّتِ الْأُمُورُ، وَثَبَّتِ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَ الْعُذْرُ»^(١)، وَذَلِكَ أَنَّ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ قَدْ أَحْكَمَا أَمْرَ الدِّينِ كُلِّهِ، وَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ؛ فَعَلَى النَّاسِ الْإِتِّبَاعُ».

وَذَكَرَ الْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» كَثِيرًا مِنَ النُّصُوصِ وَالْآثَارِ، ثُمَّ قَالَ (١/ ٤٢٤): «ذَكَرْتُ مِنَ التَّمَسُّكِ بِشَرِيعَةِ الْحَقِّ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى مَا نَدَبَ اللَّهُ

(١) أخرجه عمر بن شبة في «أخبار المدينة» (٢/ ١٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٢)، وأبو يوسف في «الخراج» (٣٢)، والخطيب في «الفيح والمنتقى» (١/ ٣٨٣)، وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٢١٥)، من طريق الأوزاعي عن عمر بن الخطاب، وهو منقطع بين الأوزاعي وعمر بن الخطاب.

وأخرجه المروزي في «السنة» (٩٥) من طريق الأوزاعي، قال: «قال عمر بن عبد العزيز...»، فذكره بنحوه.

تَعَالَى إِلَيْهِ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، مَا إِذَا تَدَبَّرَهُ الْعَاقِلُ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَبِسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَجَمِيعِ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأُتِمَّتِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكَ الْجَدَلَ وَالْمِرَاءَ وَالْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ، وَلَزِمَهُ مُجَانَبَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَالِاتِّبَاعُ وَتَرَكَ الْإِبْتِدَاعَ، فَقَدْ كَفَانَا عِلْمٌ مَنْ مَضَى مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ، مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ لِكُلِّ رَشَادٍ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ».

٣- وَأَخْبَرَنَا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْ رِضَاهُ عَمَّنِ اتَّبَعَ الْأَصْحَابَ بِإِحْسَانٍ، وَأَعَدَّ لَهُمُ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفِرُ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ كُلَّهَا خَيْرَ الْمُتَلَبِّسِينَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ (٢/ ٦٨٠):

«السَّابِقُونَ هُمُ الَّذِينَ سَبَقُوا هَذِهِ الْأُمَّةَ وَبَدَرُوهَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادِ، وَإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ، ﴿مِنَ الْمُهْجَرِينَ﴾: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

﴿وَمِنَ الْأَنْصَارِ﴾: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ

كَانَ بِهِمْ خِصَاصَةٌ ﴿[الحشر: ٩].

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾: بِالْإِعْتِقَادَاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ؛ فَهُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ سَلِمُوا مِنَ الذَّمِّ، وَحَصَلَ لَهُمْ نِهَايَةُ الْمَدْحِ، وَأَفْضَلُ الْكَرَامَاتِ مِنَ اللَّهِ.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: وَرِضَاهُ تَعَالَى أَكْبَرُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الْجَارِيَةُ الَّتِي تُسَاقُ إِلَى سَقْيِ الْجَنَانِ وَالْحَدَائِقِ الزَّاهِيَةِ الزَّاهِرَةِ وَالرِّيَاضِ النَّاصِرَةِ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا، وَلَا يَطْلُبُونَ مِنْهَا بَدَلًا؛ لِأَنَّهُمْ مَهْمَا تَمَنَّوْهُ أَدْرَكُوهُ، وَمَهْمَا أَرَادُوهُ وَجَدُوهُ.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ فِيهِ كُلُّ مَحْبُوبٍ لِلنَّفُوسِ، وَلَذَّةٌ لِلْأَرْوَاحِ، وَنَعِيمٌ لِلْقُلُوبِ، وَشَهْوَةٌ لِلْأَبْدَانِ، وَانْدَفَعَ عَنْهُمْ كُلُّ مَحْذُورٍ.

وَوَجْهُ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْآيَةِ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَتَّبِعِينَ، فَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ فَهُوَ تَابِعٌ لَهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْمِنْهَاجِ، قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

وَأَعْظَمُ مَا يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ وَلِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]؛ يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَمَنْ آمَنَ بِإِيمَانِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ الْمُهْتَدِي، وَمَنْ خَالَفَهُمْ فَهُوَ الضَّالُّ.

٤- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢١].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِعْلَامِ الْمُوقَعِينَ» (٥/ ٥٦٦): «هَذَا قَصَهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ صَاحِبِ يَاسِينَ، عَلَى سَبِيلِ الرِّضَاءِ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى قَائِلِهَا، وَالْإِقْرَارِ لَهُ عَلَيْهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَسْأَلْنَا أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى خِطَابًا لَهُمْ: ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. «وَلَعَلَّ» مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [النحل: ١٦] وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُولُهُمْ ﴿ [محمد: ١٦-١٧].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥] وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿

[محمد: ٥-٦].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وَكُلُّ مِنْهُمْ قَاتِلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَجَاهِدٌ؛ إِمَّا بِيَدِهِ أَوْ بِلِسَانِهِ، فَيَكُونُ اللَّهُ قَدْ هَدَاهُمْ، وَكُلُّ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ فَهُوَ مُهْتَدٍ، فَيَجِبُ اتِّبَاعُهُ بِالْآيَةِ.

وَأَسَاسُ تَقْرِيرِ هَذِهِ الْأَسْتِدْلَالَاتِ أَنَّ الصَّحَابَةَ خَيْرُ النَّاسِ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ، فَهُمْ أَتَمُّ الْمُهْتَدِينَ هِدَايَةً، وَأَكْمَلُ الْمُتَّبِعِينَ إِنَابَةً، وَهُمْ أَوْلَى وَأَوَّلُ مَنْ يَجِبُ اتِّبَاعُهُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ وَالْمُتَّبِعِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَتَعَيَّنُ اتِّبَاعُهُمْ إِذَا اخْتَلَفَ أَهْلُ الْهِدَايَةِ وَالْإِنَابَةِ.

٥- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِعْلَامِ الْمُوقَعِينَ» (٥/ ٥٦٧):

«أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَجَبَ اتِّبَاعُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيمَا حَكَاهُ عَنِ الْجَنِّ وَرَضِيَهُ: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]؛ وَلَآنَ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ فَقَدْ دَعَا إِلَى الْحَقِّ عَالِمًا بِهِ، وَالِدُّعَاءُ إِلَى أَحْكَامِ اللَّهِ دُعَاءٌ إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ دُعَاءٌ إِلَى طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى، وَإِذَنْ، فَالصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - قَدْ اتَّبَعُوا الرَّسُولَ ﷺ فَيَجِبُ اتِّبَاعُهُمْ إِذَا دَعَوْا إِلَى اللَّهِ».

٦- شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لِلصَّحَابَةِ رَضِيَهُمْ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ أُوتُوا الْعِلْمَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبا: ٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا﴾ [محمد: ١٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وَاللَّامُ فِي «الْعِلْمِ» لَيْسَتْ لِلْإِسْتِغْرَاقِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلْعَهْدِ، أَيِ: الْعِلْمَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَإِذَا كَانُوا قَدْ أُوتُوا هَذَا الْعِلْمَ كَانَ اتِّبَاعُهُمْ وَاجِبًا^(١).

٧- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[التوبة: ١١٩]. قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَضِيَ اللَّهُ

(١) «إِعْلَامِ الْمُوقَعِينَ» (٥/ ٥٦٨).

عَنْهُمْ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ أَتَمَّةُ الصَّادِقِينَ، وَكُلُّ صَادِقٍ بَعْدَهُمْ فِيهِمْ يَأْتِمُّ فِي صِدْقِهِ، بَلْ حَقِيقَةُ صِدْقِهِ: اتِّبَاعُهُ لَهُ وَكَوْنُهُ مَعَهُمْ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي شَيْءٍ -وإن وافقهم في غيره- لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِيمَا خَالَفَهُمْ فِيهِ، فَتَنَفَّي عَنْهُ الْمَعِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ، وَإِنْ ثَبَتَ لَهُ قِسْطٌ مِنَ الْمَعِيَّةِ فِيمَا وَافَقَهُمْ فِيهِ، فَلَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَعَهُمْ بِهَذَا الْقِسْطِ.

وَفَرَّقَ بَيْنَ الْمَعِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ وَمُطْلَقِ الْمَعِيَّةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ الْأَوَّلَ لَا الثَّانِي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُرِدْ مِنَّا أَنْ نَكُونَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَأَنْ نُحْصَلَ مِنَ الْمَعِيَّةِ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْأَسْمُ، وَهَذَا غَلَطٌ عَظِيمٌ فِي فَهْمِ مُرَادِ الرَّبِّ تَعَالَى مِنْ أَوَامِرِهِ^(١).

٨- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]. وَوَجْهُ الاستدلالِ بِالْآيَةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنِ الْمُعْتَصِمِينَ بِهِ أَنَّهُمْ قَدْ هُدُوا إِلَى الْحَقِّ، فَنَقُولُ: الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- مُعْتَصِمُونَ بِاللَّهِ فَهُمْ مُهْتَدُونَ، فَاتَّبَاعُهُمْ وَاجِبٌ^(٢).

٩- أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ بِأَنْ يَتَّبِعُوا سُنَّتَهُ وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، فَقَالَ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي،

(١) «إعلام الموقعين» (٥/ ٥٦٩).

(٢) «إعلام الموقعين» (٥/ ٥٧٣).

تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وَوَجْهُ الاستِدْلَالِ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ قَرَنَ ﷺ سُنَّةَ خُلَفَائِهِ بِسُنَّتِهِ، وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهَا كَمَا أَمَرَ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَبَالَغَ فِي الْأَمْرِ بِهَا حَتَّى أَمَرَ أَنْ يُعْضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ. وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَنْ الْخُرُوجَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ إِنَّمَا يَكُونُ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا» فَهَذَا دَاءٌ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَمَا تَرَى ذَلِكَ فِي سُنَّتِهِ، لَا يَذْكُرُ دَاءً إِلَّا وَيَتَّبِعُهُ بِذِكْرِ الدَّوَاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ».

فَحَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، فَظَهَرَ أَنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ وَأَنْ مُجَانِبَةَ الْبِدْعَةِ هُوَ الْخُرُوجُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ.

وَأَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَبِمُجَانِبَةِ الْبِدْعَةِ. ١٠ - وَقَالَ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٢)، أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤) من

حديث العرابض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

يَلُونَهُمْ»^(١).

وَوَجْهُ الإِسْتِدْلَالِ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنَهُ مُطْلَقًا، وَهَذَا يَقْتَضِي تَقْدِيمَهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ خَيْرًا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ دُونَ بَعْضٍ فَلَنْ يَكُونُوا خَيْرَ الْقُرُونِ مُطْلَقًا.

١١ - وَوَصَفَ ﷺ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ فِي حَدِيثِ الْاِفْتِرَاقِ بِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(٢).

فَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فَهُوَ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ لَا مَحَالَةَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

ثُمَّ بَيَّنَ ﷺ الصِّفَةَ الْكَاشِفَةَ الَّتِي تُظْهِرُ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فَقَالَ ﷺ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(٣).

فَمَنْ كَانَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَهُوَ مِنَ النَّاجِينَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ لَا مَحَالَةَ؛ فَالْقِسْمَةُ ثَنَائِيَّةٌ «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، والحديث مروي عن غير واحد من الصحابة: عائشة، وأبي هريرة، وعمران بن حصين رضى الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه، والحاكم (١/ ١٢٨-١٢٩)، والآجري في «الشریعة» (١٦)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٥١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٤٨).

(٣) التخريج السابق نفسه.

وَاحِدَةً». فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ.

١٢- رَوَى أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ بِسَنَدَيْهِمَا عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ، قَالَ: فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ.

قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ - أَوْ: أَصَبْتُمْ».

قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ - وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ - فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوْعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوْعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوْعَدُونَ»^(١).

قَوْلُهُ ﷺ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ»؛ أَي: أَنَّ النُّجُومَ مَا دَامَتْ بَاقِيَةً فَالسَّمَاءُ بَاقِيَةٌ، فَإِذَا انْكَدَرَتِ النُّجُومُ وَتَنَاقَرَتْ فِي الْقِيَامَةِ؛ وَهَنَتِ السَّمَاءُ فَانْفَطَرَتْ وَانْشَقَّتْ وَذَهَبَتْ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي»؛ أَي: مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ وَارْتِدَادِ مَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَاخْتِلَافِ الْقُلُوبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أُنْذِرُ بِهِ صَرِيحًا، وَقَدْ وَقَعَ كُلُّ ذَلِكَ.

(١) مسلم (٢٥٣١)، وأحمد (١٩٥٦٦).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»؛ أَي: مِنْ ظُهُورِ
الْبَدْعِ وَالْحَوَادِثِ فِي الدِّينِ، وَطُلُوعِ قَرْنِ الشَّيْطَانِ، وَظُهُورِ الرُّومِ وَغَيْرِهِمْ
عَلَيْهِمْ، وَانْتِهَاكِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ.

وَوَجْهُ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْحَدِيثِ: أَنَّهُ جَعَلَ نِسْبَةَ أَصْحَابِهِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ
كَنِسْبَتِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَكَنِسْبَةِ النُّجُومِ إِلَى السَّمَاءِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا
التَّشْبِيهَ يُعْطِي مِنْ وُجُوبِ اهْتِدَاءِ الْأُمَّةِ بِهِمْ، مَا هُوَ نَظِيرُ اهْتِدَائِهِمْ بِنَبِيِّهِمْ ﷺ،
وَنَظِيرُ اهْتِدَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالنُّجُومِ.

وَأَيْضًا؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ بَقَاءَ الصَّحَابَةِ بَيْنَ الْأُمَّةِ أَمَنَةً لَهُمْ مِنَ الشَّرِّ وَأَسْبَابِهِ،
فَلَوْ جَازَ أَنْ يُخْطِئُوا بِشَيْءٍ مِنَ الدِّينِ، وَيُظْفَرُ بِهِ مَنْ بَعْدَهُمْ، لَكَانَ الظَّافِرُونَ
بِالْحَقِّ أَمَنَةً وَحِرْزًا لِهَذَا، وَهَذَا مِنَ الْمَحَالِ.

فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ وَغَيْرُهَا -مِمَّا وَرَأَيْتُهَا- تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ مَنْهَاجِ النُّبُوَّةِ
فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَفِي الْعَقِيدَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَفِي الْمُعَامَلَاتِ وَالْأَخْلَاقِ
وَالسُّلُوكِ، وَأَنَّهُ لَا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِذَلِكَ.



بَعْضُ الْأَثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى
أَهْمِيَّةِ التَّمَسُّكِ بِمَنْهَاجِ النَّبُوَّةِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِّتُمْ»^(١).
وَقَالَ: «إِنَّا نَقْتَدِي وَلَا نَبْتَدِي، وَنَتَّبِعُ وَلَا نَبْتَدِعُ، وَلَنْ نُضِلَّ مَا تَمَسَّكْنَا
بِالْأَثَرِ»^(٢).

وَقَالَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدِ عَلَى
سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، فَتَمَسَّهُ النَّارُ أَبَدًا، وَإِنْ
اِقْتَصَادًا فِي سُنَّةٍ وَخَيْرٍ، خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ»^(٣).
قَالَ عُثْمَانُ بْنُ حَاضِرٍ الْأَزْدِيُّ رحمته الله: «دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما،
فَقُلْتُ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ، اتَّبِعِ الْأَثَرَ الْأَوَّلَ،
وَلَا تَبْتَدِعْ»^(٤).

(١) أخرجه الدارمي (٢٠٥)، وابن نصر في «السنة» (٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٧٠).

(٢) أخرجه اللالكائي (٨٦/١)، وانظر: «الفقيه والمتفقه» (١٤٧/١)، و«ذم التأويل» (٥٩).

(٣) أخرجه اللالكائي (٥٤/١)، وابن الجوزي في «تلبس إبليس» بنحوه (٤٤/١).

(٤) «السنة» لابن نصر (٢٩)، و«ذم الكلام» (٣٣٥)، و«الإبانة» (١٥٧، ١٥٨، ٢٠٠).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانُوا يَقُولُونَ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ»^(١).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَلَّا يَحُكَّ رَأْسَهُ إِلَّا بِأَثَرٍ»^(٢).

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «عَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا»^(٣).

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: «اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسْعُكَ مَا وَسِعَهُمْ»^(٤).

وَقَالَ أَيْضًا: «عَلَيْكَ بِأَثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرِّجَالِ وَإِنْ زَخَرُوا لَكَ الْقَوْلُ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي حِينَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٥).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ

(١) الدارمي (١٤٠، ١٤١)، و«السنة» للخلال (١١٠٢)، واللالكائي (١/١٥٣).

(٢) «الجامع» للخطيب (١٧٤)، و«ذم الكلام» (٣٢٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٢١٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٥٨)، والمروزي في «السنة» (٢٦).

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/١٤٧)، والآجري في «الشرعية» (٢/٦٧٣ - ٦٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/١٤٣).

(٥) انظر: «مختصر العلو» للذهبي (ص ١٣٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٧/١٢٠)، و«طبقات الحنابلة» (١/٢٣٦).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْاِقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَتَرْكُ الْبِدْعِ»^(١).

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» (٤٦١٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصِيَّةٍ لَهُ: «أَمَّا بَعْدُ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْاِقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ»^(٢)، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُّوا مُؤْنَتَهُ»^(٣)، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ عِصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَّبِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الْخَطَا وَالزَّلَلِ وَالْحُمُقِ وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لَأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبَيَّصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى، وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى، فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ قُلْتُمْ: إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ»^(٤)؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ^(٥)، وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْصَرٍ^(٦)،

(١) «أصول السنة» للإمام أحمد (ص ٢٥-٢٧ / ط ابن تيمية).

(٢) الاقتصاد: التوسط، والاعتدال.

(٣) مؤنته: المؤنة: التعب والثقل.

(٤) رغب بنفسه عنهم: ابتعد عنهم، والمراد: ابتعد عن سبيل السلف الصالح، وفضل نفسه عليهم.

(٥) مقصر: محل حبس.

(٦) وما فوقهم من محصر: محل كشف، أي: لم يبق أمر زائد على ما كشفوا ووضحوا من

أمر الدين.

وَقَدْ قَصَرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا^(١)، وَطَمَحَ^(٢) عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَعَلَوْا، وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ.

وَقَالَ الْأَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الشَّرِيعَةِ» (١ / ٣٠١):

«عَلَامَةٌ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا سُلُوكُ هَذَا الطَّرِيقِ؛ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أُمَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ بَلَدٍ، إِلَى آخِرِ مَا كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ مِثْلُ: الْأَوْزَاعِيِّ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ طَرِيقَتِهِمْ، وَمُجَانِبَةً كُلِّ مَذْهَبٍ يَذُمُّهُ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ».

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عَقِيدَةِ السَّلَفِ» (ص ٨٢):

«وَيَقْتَدُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ كَالنُّجُومِ، بَأْيَهُمْ اقْتَدَوْا اهْتَدَوْا، وَيَقْتَدُونَ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ مِنْ أُمَّةِ الدِّينِ وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِمَا كَانُوا بِهِ مُتَمَسِّكِينَ مِنَ الدِّينِ الْمَتِينِ، وَالْحَقِّ الْمُبِينِ».

وَقَالَ اللَّالِكَايِيُّ فِي «شَرْحِ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» (١ / ٧٦):

«إِنَّ أَوْجَبَ مَا عَلَى الْمَرْءِ: مَعْرِفَةُ اعْتِقَادِ الدِّينِ، وَمَا كَلَّفَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ فَهْمِ تَوْحِيدِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَصَدِيقِ رُسُلِهِ بِالْأَدَلِّ وَالْيَقِينِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى طُرُقِهَا، وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ».

(١) جَفَوْا: ابْتَعَدُوا وَانْحَدَرُوا، وَالْمُرَادُ: انْحَطُوا مِنْ عُلوِّ إِلَى سُفْلٍ بِسَبَبِ بُعْدِهِمْ عَنْ أَهْلِ الْحَقِّ.

(٢) طَمَحَ: ارْتَفَعَ.

وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَقُولٍ، وَأَوْضَحِ حُجَّةٍ وَمَعْقُولٍ: كِتَابُ اللَّهِ الْحَقُّ الْمُبِينُ، ثُمَّ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ الْمُتَّقِينَ، ثُمَّ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ التَّمَسُّكُ بِمَجْمُوعِهَا، وَالْمُقَامُ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، ثُمَّ الاجْتِنَابُ عَنِ الْبِدْعِ وَالِاسْتِمَاعُ إِلَيْهَا مِمَّا أَحَدَثَهَا الْمُضِلُّونَ.

فَهَذِهِ الْوَصَايَا الْمُرُوثَةُ الْمَتَّبِعَةُ، وَالْآثَارُ الْمَحْفُوظَةُ الْمَنْقُولَةُ، وَطَرَائِقُ الْحَقِّ الْمَسْلُوكَةُ، وَالِدَّلَالُ اللَّائِحَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْحُجَجُ الْبَاهِرَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي عَمِلَتْ عَلَيْهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ: مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ وَعَامَّتِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَاعْتَقَدُوهَا حُجَّةً فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ مَنْ اقْتَدَى بِهِمْ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ، وَاقْتَفَى آثَارَهُمْ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ، وَاجْتَهَدَ فِي سُلُوكِ سَبِيلِ الْمُتَّقِينَ، وَكَانَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٨٥): «لَمْ نَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَآثَارِ صَحَابَتِهِ إِلَّا الْحَثَّ عَلَى الْإِتِّبَاعِ، وَذَمَّ التَّكْلِيفِ وَالْإِخْتِرَاعِ، فَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْآثَارِ؛ كَانَ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ، وَكَانَ أَوْلَاهُمْ بِهَذَا الْأِسْمِ، وَأَحَقَّهُمْ بِهَذَا الْوَسْمِ، وَأَخَصَّهُمْ بِهَذَا الرَّسْمِ «أَصْحَابُ الْحَدِيثِ»؛ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاتِّبَاعِهِمْ لِقَوْلِهِ، وَطُولِ مُلَازِمَتِهِمْ لَهُ، وَبِحَمْلِهِمْ عِلْمَهُ، وَحِفْظِهِمْ أَنْفُسَهُ وَأَفْعَالَهُ، فَأَخَذُوا الْإِسْلَامَ عَنْهُ مُبَاشَرَةً، وَشَرَائِعَهُ مُشَاهِدَةً، وَأَحْكَامَهُ مُعَايَنَةً مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَلَا سَفِيرٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَاصِلَةً، فَجَاؤُهَا عِيَانًا، وَحَفِظُوا عَنْهُ شِفَاهًا، وَتَلَقَّوْهُ مِنْ فِيهِ رَطْبًا، وَتَلَقَّوْهُ مِنْ لِسَانِهِ عَذْبًا، وَاعْتَقَدُوا جَمِيعَ ذَلِكَ حَقًّا،

وَأَخْلَصُوا بِذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ يَقِينًا.

فَهَذَا دِينُ أَخِيذَ أَوَّلُهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُشَافَهَةً، لَمْ يَشْبَهْ لَبْسٌ وَلَا شُبْهَةٌ، ثُمَّ نَقَلَهَا الْعُدُولُ عَنِ الْعُدُولِ، مِنْ غَيْرِ تَحَامُلٍ وَلَا مِيلٍ، ثُمَّ الْكَافَّةُ عَنِ الْكَافَّةِ، وَالصَّافَةُ عَنِ الصَّافَةِ، وَالْجَمَاعَةُ عَنِ الْجَمَاعَةِ، أَخَذَ كَفًّا بِكَفٍّ، وَتَمَسَّكَ خَلْفَ بَسَلَفٍ، كَالْحُرُوفِ يَتَلَوُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَسْقُ أَخْرَاهَا عَلَى أُولَاهَا رَصْفًا وَنَظْمًا.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ (٨٣/١): «فَهَلُمَّ الْآنَ إِلَى تَدْنِي الْمُتَّبِعِينَ، وَسِيرَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَسَبِيلِ الْمُتَقَدِّمِينَ، بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّتِهِ، وَالْمُنَادِينَ بِشَرَائِعِهِ وَحُكْمَتِهِ، الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وَتَنَكَّبُوا سَبِيلَ الْمُكَذِّبِينَ بِصِفَاتِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاتَّخَذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا، وَآيَاتِهِ فُرْقَانًا، وَنَصَبُوا الْحَقَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ عَيَانًا، وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جُنَّةً وَسِلَاحًا، وَاتَّخَذُوا طُرُقَهَا مِنْهَاجًا، وَجَعَلُوهَا بُرْهَانًا، فَلَقُّوا الْحِكْمَةَ، وَوَقُّوا مِنْ شَرِّ الْهَوَىِّ وَالْبِدْعَةِ، لَا مِثَالَهُمْ أَمَرَ اللَّهُ فِي اتِّبَاعِ الرَّسُولِ، وَتَرْكِهِمُ الْجِدَالَ بِالْبَاطِلِ؛ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ».

وَمَا زَالَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَيْمَةِ السُّنَّةِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، يَدْعُونَ إِلَى اتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ وَسُلُوكِ طَرِيقِهِمْ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ.